«سلطان زمانو» على مسرح الخيام حتى شهر رمضان

محمد خير جراح: أهمية عودة المسرح إلى ألقه بصفته الأب الروحي للفنون

وائل العدس
تصوير طارق السعدوني

يعود المسرح التجاري الشعبي إلى سهرات ليالي دمشق، ومعه تعود الحياة إلى مسرح الخيام في شارع ٢٩ أيار بعرض جماهيري كبير.
«سلطان زمانو» هي المسرحية التي تقدمها فرقة «مسرح سورية» في أول نشاطاتها المسرحية حرصاً منها على إعادة الأنوار للمسارح.
يرفع الستار بدءاً من الثامنة والنصف من مساء السادس والعشرين من شهر كانون الأول الجاري ولغاية أول أيام شهر رمضان المبارك، بواقع أيام الخميس والجمعة والسبت من كل أسبوع.

المسرحية اجتماعية كوميدية ناقدة يقدمها تجمع «مسرح سورية» بالتعاون مع Q media وتروي حكاية رجل يقع بغرام امرأة تعمل في تياترو ويفعل المستحيل للوصول إليها.
العرض من بطولة وإخراج محمد خير الجراح بالاشتراك مع الفنانين أريج خضور وفادي حموي ورشا رستم وأحمد حجازي وسمير الشماط ومحمد سويد، وكتب كلمات الأغاني الشاعر مضر شغالة ولحنها معن دوارة، ويشارك في العرض أيضاً فرقة جلنار للفنون الشعبية بقيادة علي حمدان، وصمم الأزياء حكمت داوود، النص والتعاون الفني لسعيد الحناوي وإنتاج أسامة سويد، ومدة العرض ساعتان على فصلين بينهما استراحة مدتها ١٥ دقيقة.
أسرة المسرحية عقدت مؤتمراً صحفياً على خشبة «الخيام» للتعريف بعملها الجديد، وكانت هذه التفاصيل:

سعيد الحناوي: ملامسة هموم المواطن السوري في مختلف النواحي

ملهم الإنسان

بدأ النجم محمد خير الجراح بالحديث عن العرض فقال: «سلطان زمانو» قريب من الناس، يشبههم ويشبهونه، يرسم الضحكات على وجوههم، يوقظ التراث الحي في داخلهم، إنه المسرح أبو الفنون، ملهم الإنسان ومحفزه للرقي الفكري، لأنه الأصل، ولأنه مرآة مجتمعنا وأسلوب حياتنا، ولأنه سورية بعبقها القديم وعشقها المتجدد.
وأضاف: أتينا لنرسم الضحكات على وجوه الناس لنسترجع الحكاية، حكاية المسرح الشعبي، مسرح العائلة السورية، في كل شارع، داخل كل بيت، في قلب كل محب.
وتابع: إنها قصصنا المروية، سرداتنا اللطيفة في الشتاءات الدافئة، أحاديث أطفالنا وشبابنا، لنبتعد قليلاً عن الواقع الافتراضي، ونقترب أكثر من التواصل المحسوس.
ووجه كلامه للجمهور فقال: تعالوا معنا إلى عالمنا اللطيف، حيث تمتزج الضحكات مع بعضها لتشكّل مسرحاً أنتم أبطاله.
من ناحية ثانية، بيّن أن ما يقدمونه في «سلطان زمانو» هو محاولة من محاولات عديدة لإعادة إحياء هذا النوع من المسرح، مشيراً إلى أن تجربة «السيرك الأوسط» كانت غنية بالنسبة له على عدة أصعدة، وأضاف: على الأقل تعرفنا من خلالها على طريقة تفكير الناس، وهذا يحسب لفريق «فضا» لأنهم قاموا بالمبادرة الأولى، وإن كانوا يرغبون في أن تُسجل الخطوة الأولى بإعادة المسرح الشعبي لهم، لا مشكلة لدينا، أنا شخصياً لا يهمني من يكون المبادر، وإنما فقط أن يعود المسرح الشعبي، والمهم أنه لن تقتصر عروضنا على هذا الشكل فقط، وإنما نسعى لتقديم أشكال مختلفة ستأتي تباعاً».
وأكد أن إعادة المسرح الشعبي لخشبات المسارح الخاصة بعد فترة طويلة من الغياب، بمنزلة حلم قديم له، واصفاً التجربة بـ«المغامرة» وتحد كبير في ظل انحسار المسرح اليوم واتجاه معظم النجوم إلى الدراما التي تحقق الانتشار الأوسع وترضي الجانبين المادي والمعنوي للفنانين، لافتاً إلى أهمية عودة المسرح إلى ألقه بصفته الأب الروحي للفنون ولقدرته على مخاطبة الجمهور وجهاً لوجه.
وشدد على أن العرض تقليدي يعود بنا إلى مسرح الثمانينيات والتسعينيات ولكن بشكل أنضج يتعلق بالتقنيات الحديثة، وركزنا أن يكون عرضنا لائقاً بمدينة دمشق العظيمة وليكون أحد خيارات الناس في السهرات غير المطاعم والمقاهي لسد جزء من احتياجاتهم، وخاصة الأشخاص غير القادرين على ارتياد الأماكن الغالية الثمن، ولذلك ستفاجؤون بأسعار البطاقات الرمزية عند العرض.
وأشار إلى أن المسرحية تخاطب كل العقول وتناقش أمور المواطن من هموم اجتماعية وعاطفية وحياتية، في تحويل الصورة الأدبية إلى خطاب يناسب الشرائح كافة.
وأكد أن جميع الممثلين المشاركين في المسرحية نجوم محترفون، ويمارسون المهنة منذ زمن، وبالتأكيد سيقدمون مهامهم بمنتهى الحب.
وأثنى الجراح على دور المنتج ودعمه اللامتناهي، إلى جانب عدد من الجهات التجارية.

الأحلام والهواجس نفسها

وتحدثت الفنانة أريج خضور عن تجربتها مع الجراح فقالت: ليست التجربة الأولى ولن تكون الأخيرة، نحنا لدينا الهواجس والأحلام نفسها، وهو شخص صاحب تاريخ فني كبير متوارث عن والده الفنان الكبير الراحل عبد الوهاب الجراح.
وقالت: إنها ترفع القبعة للمنتج أسامة سويد الذي عاد إلى سورية بهدف إحياء المسرح وقدمكل ما يلزم.
ورداً على أحد الأسئلة أكدت أنها خريجة المعهد العالي للفنون المسرحية، وقد درست لأربع سنوات العلوم المسرحية ولم أدرس أي شيء له علاقة بالكاميرا، ولذلك فإن مكاني الطبيعي على خشبة المسرح.
وشددت على ضرورة أن يستمر الفنان بالظهور على خشبة المسرح إلى جانب الدراما والسينما.

هموم المواطن

أما الكاتب سعيد الحناوي فبيّن أنه اعتمد بكتابة النص الكوميدي، على ما في الواقع اليومي من مواقف تضحك قهراً، من خلال ملامسته هموم المواطن السوري في مختلف النواحي، وأضاف: «عندما نتكلم عن هذه المواقف بطريقة تخاطب العقل، فنحن قادرون على إضحاك الجمهور، أي إننا نقول في هذا العرض، شر البلية ما يضحك».

«الطربوش» مجموعة ثانية تُعرّي أشباه الرجال
مازن غانم لـ«الوطن»: المرأة ظُلمت لجهلها بنفسها

سوسن صيداوي

أن تقترب اللوحة من التجريد من دون أن تكون تجريدية، أمر معقد، فاللوحات اكتملت لتحكي لنا عن قصص، شخوصها التي ترتدي الطرابيش أو «العكال»، وفي أماكن أخرى شخوص حملت معاناة وأوجاع سنين مرت عصيبة ومؤلمة فيها من الدم والذبح مع ظهور بهيئة وحوش قادرة على الذبح والتنكيل، هذا عدا عن شخوص تمثّل أوجاع المرأة ومعاناتها. إذاً بين مرحلتين زمنيتين تأتي الأعمال الثلاثونّ للفنان التشكيلي مازن غانم، والتي تُبدي إحداها الإشراق والغِنى بالألوان الضاجة والحيوية التي تدعو للحلم، في أول مجموعة «نساء من الشرق» والتي تعود إلى عام ٢٠٠٣، على حين المجموعة الثانية تمثل المرحلة الثانية التي تتحدث عما تأثر به الفنان أثناء الأزمة إضافة إلى خلاصة قراءاته وما رآه من دراما تلفزيونية تشير إلى القيود التي فرضها الرجل الشرقي، لتطغى الألوان القاتمة المتنوعة ما بين الأسود والبني في لوحاته مجسدة للحالة المطلوبة. هذا إضافة إلى الكثير من الجمال والتفرد والاختلاف الذي قدمه لنا التشكيلي غانم في معرضه الفردي العاشر«الطربوش» في صالة عشتار في دمشق. وللمزيد نقدم لكم.

عن دمشق العاصمة

جاء الفنان مازن غانم من اللاذقية عروس الساحل السوري إلى «صالة عشتار للفنون» ليقدم أفكاره المناهضة للمجتمع بظلمه وبقيوده، معرّياً الحقائق، وعن قدومه للشام وإقامة معرضه الفردي في صالة عشتار قال: «أنا سعيد جداً لقدومي إلى دمشق العاصمة، فهي القبلة لكل الفنون، ونافذة للجمهور الذي سيطلع على الآخر ويتحاور مع كل التجارب المتنوعة، لهذا قررت أن آتي إلى دمشق لأكون بينكم، ولأقدم ما لدي إلى أكبر شريحة ممكنة، فالآراء تهمني وأن أصيب المتلقي بفني الذي هو غايتي، وبالتالي أشكر صالة «عشتار»على هذه الفرصة لإتاحة الفرصة لجميع الفنانين الموجودون في كل المحافظات».

في اللون المائي

لفت غانم إلى أن الحداثة في اللوحات تتطلب الخروج بنزق عبر ألوان مجنونة تقود المشاهد للحالة المطلوبة، وهو من يعتبر بأن اللون المائي كان وما زال –بالنسبة له– من الفنون الروحية التي لا تتكلم ولا تُفسّر، ليتابع «لقد أحببت العمل بالألوان المائية لصعوبتها وسلاستها، لأنني شخصياً أرغب في البحث عن التحدي وأقبل به فنياً، واللون المائي يعزز هذه الرغبة».

كسر القيود

المعرض يقدم لوحات تعود إلى مرحلتين زمنيتين، واحدة فيها الحب، والأخرى تصور الإجرام والقتل والأوجاع التي خلّفتها الأزمة، إضافة إلى تمثيل الأفكار والعادات التي قيودها توجع أيضاً، وفي تصريح لـ«الوطن» بدأ الفنان مازن غانم بحديثه عن المرأة فيقول: «أنا منصف للمرأة التي ظلمت نفسها كثيراً، أحب أن أشير إلى أن الشاعر نزار قباني عرف المرأة وقرأها أكثر مما عرفت نفسها، لهذا كتب عنها بطريقة معبرة عن دواخلها، وكذلك الأمر بالنسبة ليوسف شاهين. إذاً ظلم المرأة يأتي من عدم معرفتها لنفسها ولرغباتها ولأهدافها، وبالتالي هذا الأمر أوجعها كثيراً، ولكن أنا من الأشخاص الذين يجلّونها، ولدي دفق كبير من العواطف والحنان تجاهها، الدليل على ذلك امتناني لوالدتي رحمها الله التي ساهمت في تأثري الإيجابي بالمرأة عموماً، فهي أكثر من دعمني وساندني، وفي العام القادم سأقيم معرضاً لروح والدتي بمناسبة مرور عام على وفاتها، وفيه سأعبّر عن كل مشاعري الممتنة لأمي وللمرأة».
وبتفصيل أدق حول معرض «الطربوش» يتابع فناننا: «يشهد المتلقي، ما تضمنته اللوحات الثلاثون، لغتين: الأولى لغة الحب والغرام، وتضم مجموعة أسميتها «نساء الشرق» وكنت قد عرضتها في باريس عام٢٠٠٣، ومرة أخرى في جنيف، هذه المجموعة أحبها الكل، لأن فيها الكثير من المعنى واللون وفيها حلم، وبقيت لمدة خمس سنوات تقريبا وأنا أعمل بالأسلوب نفسه والخط واللون والحلم، من بعدها تطورت التجربة حتى عام ٢٠٠٩، حيث ساهم قضاء الوقت هنا في سورية، مع العودة إلى القراءة والحالات الذهنية التي تسكن في المخ، إضافة إلى الدراما التي نشاهدها عبر التلفاز بمواضيعها المطروحة، من كل ما سبق جاءت لوحات المجموعة الثانية باسم «الطربوش»، وهنا أسلط الضوء على أشباه الرجال وحالة التشويه بمفهوم الرجولة، فالمعنى الصحيح للرجولة يكون بقرار الرجل بعيداً عن تسلطه وانفعالاته اللامنطقية التي يبيحها له المجتمع. هذا كما لابد أن أشير إلى أنني تأثرت كثيراً بالأزمة والأمر واضح بالدموية ومظاهر الإجرام والعنف في عدد من اللوحات، ولكنني اليوم أفكر كيف نخرج من الأزمة بكل مخلفاتها، وسيكون الطرح الجديد متجهاً نحو الأفضل بالخروج من كل ما مررنا به. وأخيراً أتمنى أن أكون قد وفقت بالطرح وأصبت إعجاب المتلقي».

رأي لفنان

حضر المعرض قامات فنية مخضرمة ولها باع طويل في التشكيل السوري، وكلّها شدّت على يد الفنان لتعامله المطواع مع اللون المائي الذي يحتاج إلى الخبرة والصبر الكبيرين، ولابد من الإشارة إلى أن جمال الحالة تفرضه الصداقة رغم المنافسة في المجال نفسه، ومن بين الحضور توقفنا مع الفنان محي الدين الحمصي الذي بدأ حديثه باعتزازه الكبير بالصداقة القديمة التي تربطه مع الفنان مازن غانم، وحول معرض «الطربوش» قال: «فناننا يجتهد دائماً في أسلوبه لتعزيز بصمته المتفردة في الساحة التشكيلية السورية، واليوم أرى في اللوحات أنه اشتغل باللون المائي مع إضافة القليل من الإكريليك، وبعلم الألوان الإكريليك من المواد الكاتمة للون، بعكس اللون المائي الذي يمنح الكثير من الشفافية، وأركز هنا على نقطة مهمة، التشكيلي مازن غانم لو لم يكن متمرساً وشفافاً من داخله، فلا يمكنه أن يعمل على اللون المائي أو يبدع في شفافياته المتنوعة في العمل الواحد، هذا من الجانب التقني، أما من ناحية الشخوص فهي توحي بمكنونات الفنان الفكرية والعاطفية، كما أن تأثره بالأزمة واضح، حتى إنه تطرق للعادات والتقاليد، وإلى تسلط الرجل برسمه لطربوش الرجل أو بإبراز الشارب في الوجه، مجسداً البيئة الشامية كما صورتها المسلسلات وبقربها للواقع من حيث الظلم للآخر وللمرأة، وبالطبع هذا الأمر مختلف عن بيئته الساحلية، وهذه نقطة تضاف للفنان في مشواره التشكيلي».

الإرهابي وتاجر الحرب وجها المعاناة السورية

السينما السورية وتأليف جماعي يستفيد من النقد

نهلة كامل

حصل فيلم «درب السما» على ثلاثة جوائز في مهرجان الإسكندرية الدولي لهذا العام إحداها أفضل سيناريو في المسابقة الدولية، حيث يذكرنا جود سعيد وهو يقدم مجموعته المشاركة في إنجاز الفيلم، بتوصية المخرج العبقري أندريه فايدا، في كتابه «الرؤية المزدوجة» وهو يقول: أقترح عليك خلال تصوير فيلم أن تقلل من الأنا وتؤكد على نحن الجماعية، حتى لو وصفته بعبارة فيلمنا سيبقى في نظر المشاهدين والنقاد فيلم المخرج: فيلمي.
وينجز جود سعيد فيلمه، بنحن الجماعية، بتوازن وتوزيع أوركسترالي متقن، ويقدم حقيقة نصنا لا نصي في سيناريو الفيلم، إنه يقدم«درب السما» سيناريو أربعة مؤلفين: الفنان الكبير أيمن زيدان، والسيناريست سماح القتال ورامي كوسا، من دون أن يفقد الفيلم خصوصية أنه سيناريو جود سعيد أيضاً، مع ملاحظة أن ورشات العمل الفني أصبحت تغزو الأعمال السينمائية والشركات الدرامية الكبرى.
وسنجد أن طاقم فيلم «درب السما» لم يثقل على كاهل جود سعيد، بل أيده على الانطلاق في متابعة شجاعة وجريئة، ورؤية بانورامية ناقدة لأحداث سوداء سيطرت على الحياة السورية، ذلك أن الكشف عن نور الطريق في هذه البيئة لم يكن عملية سهلة أو ساذجة، وأن تقديمها بشكل موضوعي احتاج– إلى دلالات سينمائية معبرة وحوامل إنسانية قادرة، وحبكة وثائقية واقعية رغم أنها مستترة خلف الزمان والمكان.

المعاناة الأولى

يخوض جود سعيد تجربة «درب السما» بكادر فني كبير، يتناسب مع تقسيم الفيلم في المكان والزمان إلى مرحلتين وبيئتين، من أجل تكامل المشهد في سيرة الحياة السورية، تجمع بينهما شخصية زياد أبو رام، وربطت المعاناة السورية في كلتا البيئتين، كما أنه يضع في كل بيئة ومرحلة شخصية مضيئة مماثلة لزياد، ففي البيئة الأولى للبلدات السورية التي يسيطر عليها الإرهابيون المسلحون، نجد صديق عمره الذي يقاسمه الحياة والتضحية أبو محمد، الذي يؤدي دوره بإنسانية عميقة الممثل القدير جرجس جبارة، وفي قرية مسقط رأسه، أي البيئة التي تعاني من تسلط تجار الحرب، وصراع عصاباتهم، ستكون مديرة المدرسة، التي جسدتها الممثلة الجميلة البارعة صفاء سلطان، وزوجة الشهيد التي تضحي أولاً بزوجها في الحرب ثم بنفسها تحت ضغوط تجار الحرب.
وحيث يجمع زياد، الذي جسده فناننا الكبير أيمن زيدان، بين بيئتين ومرحلتين متكاملتين، سنجد أن المعاناة التي يقدمها «درب السما» واقعية تشير أحداثها إلى وقائع معروفة وفئات موجودة كظواهر سلبية أو سوداء في سنوات الحرب، إن زياد الذي عاش طوال حياته في بلدة سورية، كأستاذ مدرسة يعلم أطفالاً وشباناً، ويقيم علاقات أخوية مع الجميع، لم يشفع له أنه ينتمي إلى طائفة أخرى بالنسبة للأكثرية في البلدة حين قامت الحرب، وقسمت عصابات الإرهاب والتعصب للطوائف والعلاقات الإنسانية، كي تنفذ مخطط «تطهير» تراه العيون التي أعماها حقدها الأسود وارتباطاتها الإجرامية... عندها فقدت عائلة زياد حياتها في البيئة الأولى.
إننا نرى في البيئة الأولى لـ «درب السما» نتائج الدمار الذي سببته الحرب على الأرض والعلاقات الإنسانية، ونعيش مع عائلة زياد وصديقه أبو محمد ظروفهما الجديدة بعد أن فقدت الأسرتان الأمهات، وفقد رام ابن زياد رجله، وعروة ابن صديقه بصره، لكن هذا لم يكن كافياً فقد واصلت العصابات الإرهابية إجرامها فقامت بشنق ابنة زياد وحبيبها، وهاجرت ابنته الثانية مع زوجها على ظهر طوافة ستغرق وسط البحر.
يصور جود سعيد المرحلة الأولى لـ «درب السما» في أماكن هدمتها الحرب وحاصرتها العصابات الإرهابية، ويعتمد على لقطات الكاميرا القريبة داخل المنازل المتلاصقة في البلدة، والتي كانت تعكس حميمية العلاقات في الحارة السورية وأصبحت مسرحاً مرعباً للجريمة والإرهاب والكراهية، وقد قدمت مشاهد الفيلم هذا الضيق في حركة لاهثة كأرجل هاربة من النيران، حيث تصطدم الكاميرا بجدران يقف وراءها المسلحون وأزقة يقطعها الإرهابيون، وابتكرت بوساطة الظلال وانعدام النور في تصوير بيئة ظلامية، وفي غرائبية الحواجز التي وضعها الإرهابيون أمام مدخل البلدة، والتي يجب أن يعبرها الإنسان كلها للخروج إلى طريق عام قد يؤدي إلى مجهول:

النجاة أو التهلكة.. ومن هنا يخرج عروة وزوجته ابنه زياد إلى الهجرة فالموت، ويخرج زياد وعائلته الجديدة المكونة من ابنه رام، والتي انضمت إلى ابنة صديقه لجين كي تقدم شهادة البكالوريا في قرية زياد.
لكن هذا الخروج لم يكن ممكناً لولا تضحية أبو محمد ومساعدته، الذي قايض على تحرير صديقه من سجن الإرهاب بتقديم شحنة من المواد الاستهلاكية التي يحتاجا الإرهابيون.

المعاناة الثانية

يخرج زياد من بلدة يسيطر عليها الإرهاب إلى قرية مسقط رأسه ولتختلف البيئة والمعاناة والمشهد السينمائي، إنها مرحلة النقد اللاذع الثانية التي تتكامل مع الأولى، كما أنها مرحلة لاحقة بالنسبة لأفلام جود سعيد السابقة، فقد خرج أبطاله بعد فيلمه الساحر «مطر حمص» و«رجل ثلاثة أيام» إلى خلاص لم يصلوا إليه، وقد ذهب بطل «مسافرو الحرب» كي يموت في مسقط رأسه، لكن زياد يخرج في درب السما، حاملاً ابنه وابنة صديقه من أجل البقاء ومواصلة الحياة..
ويصور جود سعيد المرحلة الثانية من فيلمه في المساحات الريفية الواسعة، وفضاء الغابات البكر، كي يعبر عن أمان وحرية كان يقصدهما زياد في خروجه من معاناته في البيئة الأولى، وتقوم الطبيعة في المرحلة الثانية بتقديم نوع من الانفراج النفسي المتطلع إلى الطمأنينة، وتقدم الشمس والفضاء هنا ما يساوي الضيق في البيئة الأولى، إنما بشكل معكوس.
وها نحن في المرحلة الثانية لـ«درب السما» نجد أن المشاهد معكوسة لكن جود سعيد لا يصور بيئتين من أجل المفاضلة بينهما، بل من أجل اكتمال المشهد الذي وصفه مراد شاهين، مدير عام مؤسسة السينما، بأنه هجاء للحرب السورية، ونمط الحياة المسيطر عليها، كما نتفق معه وهو يقول إن الفيلم يوجه رسالة: «يجب أن نبقى هنا جميعاً، ونستطيع أن نتفهم أكثر، ذكاء المخرج وهو يستخدم الهامش الأعرض لحرية الجهة المنتجة من أجل تحقيق فيلم «درب السما» الذي يهجو وينتقد ويرفض الظلم وتجار الحرب بالتساوي كما يرفض الإرهاب.
إن تاجر الحرب في مسقط رأس زياد، لم يكن سوى شقيقه الذي يريد تنازلاً منه عن بيت الأسرة وأرضها، ويسجنه بعد تلفيق تهمة أنه يعاشر قاصراً، ابنة صديقه لجين، لكنه سيخرج من سجنه الثاني في مسقط رأسه، كما خرج من الأول بتضحيات ومساعدة ذوي النفوس النيرة والأفعال الرحيمة، وهم هنا مديرة المدرسة التي جسدتها الجميلة صفاء سلطان بإشراق نفسي لافت، وبتضحية زوجة الشهيد التي تقبل الزواج من تاجر الحرب، ثمناً لخروج زياد من السجن قبل أن تنتحر، حيث يشكل انتحارها أقصى حالات النقد اللاذع للبيئة الريفية الثانية.
وسينتهي الفيلم نهاية سعيدة، لكن هذه النهاية لم تكن ممكنة إلا بعد التضحيات الكبيرة التي قدمتها الشخصيات المضيئة، إنها نهاية مشروطة بالعطاء والمحبة قد لا نجدها في فيلم آخر في سنوات الحرب وسيرة أحداثها، وستسيطر أصوات الاشتباكات بين عصابات تجار الحرب على حفل زفاف زياد ومديرة المدرسة، كي تختم الكاميرا على وجه وهو يقول: عفوا.. حيث تذكرنا النهاية بفيلم يوسف شاهين عبقري السينما العربية، حيث يغني محمد منير: علي صوتك بالغنا، لسه، بالحياة في «درب السما» ممكنة.

درب السما

إن النقد اللاذع لوجهي المأساة السورية الإرهاب وتجار الحرب هو الرسالة الحقيقية للفيلم، وقد تبدو الدعوة إلى الغناء مثل الدعوة إلى الحب في أغلب أفلام المؤسسة العامة للسينما وكأنها وضعت بصيص نور في آخر نفق الحرب، ومحاولة لتقديم نهاية متفائلة، لولا أن هذه النهاية أو الانفراج كما في أفلام جود سعيد السابقة تؤشر إلى بداية «درب السما» وليس إلى نهايته، وهذا يلغي عامل النهاية السعيدة المبنية على أمل شخصي، ويضعها في سياق منطقي يشبه قول سعد الله ونوس: «نحن محكومون بالأمل».
لم يشر الفيلم بشكل مباشر إلى معنى «درب السما» لكنه نجح في تقديم حالة سينمائية تؤكد وجوده، واتجه إلى تمهيد هذا الدرب إنسانياً، قبل أن يكون ذلك سياسياً بتوجيه الاهتمام إلى شخصيات شفافة وخيرة وجميلة تستطيع أن تقول: غنوا بدل اقتتلوا، إنهم العامل الموازي الذي يستطيع إقناع الإنسان السوري بالبقاء مع دفع تكلفة التضحيات الكبرى.
وقد استخدم جود سعيد لغة غنية، وتقنيات متوزعة في جوانب الفيلم للإضاءة على «درب السما» وسط العتمة وتحت نيران الحب، فأوسع كادر المشهد السينمائي لأكبر عدد من الوجوه الجميلة، وحبكة الفيلم لتقديم حكايات العشاق من كل الأعمار من الشبان والمخضرمين مثل زياد، ودعم تلك المعاني بمشاهد إنسانية مضيئة، ومواقف مبتكرة، كأن يعير ابن زياد رجله الاصطناعية إلى صديقه، وتضحيات صارخة مثل قبول زوجة الشهيد بالزواج من تاجر الحرب ثم انتحارها، بهذا الأسلوب لم تأت الدعوة إلى الغناء من فراغ، ولا الأمل من تمن فقط، وذلك بعد أن رسم الانفراجات في النفس البشرية وفي تأمل الحياة السورية كاملة حيث يجلس العاشقان، في مشهد لن ينسى، تحت شجرة مطلة على آفاق البيئة السورية كاملة، وكأنها توحد الأمل والحب معاً.
ولابد من الإشادة بنتائج هذه الحالة الجماعية لفيلم جود سعيد «درب السما» الذي يصبح «فيلماً»، والتي استطاعت تقديم مساهمات لافتة لفنانين متميزين، فها هو النجم محمد الأحمد يكون مؤثراً وهو يقدم دوراً صغيراً، وها هو فناننا الكبير أيمن زيدان يسهم في أكثر من مجال، ترجمة لارتباطه بجمهور السينما السورية فينال جائزة أفضل ممثل.. حالة سينمائية جماعية استحق جود سعيد في تأليفها وإخراجها جائزة أفضل فيلم.